الشيخ خرّقاني و زوجته التعيسة

لا تنظر إليّ.
دع نفسك تقع في أمان الله.
أنا بتّ غارقاً.
هل عندي لحية؟
لا أستطيع أن أتذكر.

خلص هذا الرجل من شاربه،
ملتفاً بفخر، بينما هو بات
ينتف شعره في داخله.
هو و الله متزوجان، متزوجان
و لكنه يدّعي العكس.

نستطيع أن نرى بوضوح ماذا
يصير هذا الإحتيال. الشيخ
ينظر إلى كومة حديد كأنها مرآة.
ما يعجز هذا الرجل الملتحي أن يكتشفه
في منزله،
ولد يستطيع أن يجده.

أغطس في المحيط.
أنت عالق في لحيتك المدّعية
مثل شيء لم تأكله.

أنت لست قمامة! اللؤلؤ يريد
أن يكون مثلك. يجب أن تكون
معهم حيث الموج و السمك و اللؤلؤ
و حشيش البحر و الريح كلهم واحد.
لا يوجد وصلات، لا يوجد هرمية،
لا يوجد فروقات، لا يوجد عجبٌ متسائل،
لا يوجد كلام.
ما بعد الوصف.

إما تبقى هنا و تتكلم أو تذهب
هناك و تصمت.
أو كلاهما، الواحد تلو الآخر.
مع الذين يرون بإزدواجية، تكلم كلاماً مزدوجاً.

اخلق جلبة، أضرب على الطبل، فكّر في
المجاز!
مع الأصدقاء، تحدث فقط عن العجائب.
قرب الورود غني.

مع المخادعين، غطي المرطبان، و احميه.
كن هادئاً مع من هم في حالة الإزدواجية.
تكلم بحلاوة و منطق.
إن الصبر يُصقل و ينقي.

هذه قصة رجل كان يبحث عن الشيخ خرّقاني.

درويش ما خرج من" طالقان"، ذهب فوق الجبال
و داخل وادٍ طويل. الجروح و المصاعب
التي تعذبها تستحق الذكر و لكن سأختصر.
هذا الشاب وصل إلى بيت الشيخ و طرق على
الباب. زوجة الشيخ تطل رأسها و تقول،
"ماذا تريد؟"

"أتيت بنيّة أن أرى الشيخ."

"أوهووو،" ضحكت الزوجة، "أنظروا إلى
سماحته! ألم يكن عندك شيء تفعله من حيث أتيت
لتقوم بهذه الرحلة الكسولة لرؤية أماكن
مختلفة؟ هل أنت تكره بلدتك؟ أو إن إبليس
قادك هنا من أنفك؟" لن أسرد لكم
كل ما قالته.

"لا زلت أريد أن أرى الشيخ."

"من الأفضل لك أن تعود على أدراجك و تذهب
إلى بيتك. مآت مثلك أتوا مثل بني إسرائيل
ليضعوا يدهم على هذا العجل الذهبي المتكبر،
الطفيلي، لاحس الصحون على الأرض، الذي
ينام بعمق، و ليس منه أية منفعة.

هم يقولون، آه،
هذه هي النشوة، آه.
ينسون الطقوس و الصلوات الدينية.

لم يعد يحتمل الشاب.
"ما هذا؟ لقد هاجمني قطاع الطرق في وضح
النهار! كلامك السخيف يحاول أن يبقيني
بعيداً عن صحبة رجل قدوس،
و لكنني أعرف النور الذي قادني هنا،
هو نفسه الذي حول العجل الذهبي إلى
كلمات في قصة مقدسة.
الولي القديس هو مسرحٌ حيث يستطيع
المرأ أن يرى صفات الله.

لا تحاولي أن تبقيني في الخارج. أنفخي على
هذه الشمعة، فيحترق وجهك!
لما لا تحاولي أن تطفئي الشمس، أو أن
تطوقي البحر؟!
الخفافيش الكبيرة في السن مثلك تحلم
أن ظلام كهفها هو في كل مكان،
و لكن ليس الوضع على هذه الحال.

تصميمي أن أكون في ذلك الحضور هو
سريع و ثابت.
لن توقفيني أو تبطئيني.
كاشف الأعاجيب
و ما يُكشف هما واحد.
البذور، الزرع، النمو، الحصاد، وجود واحد.
القشرة، هذا العالم المتذمر و المتطلب،
يجب أن ينحني لهذا.

الحلاج قال، "أنا الحق"، و عاش ذلك.
ماذا يحصل عندما تختفي ال "أنا"؟
ماذا يبقى بعد ال "لا"؟

من يزدري هذه الأسئلة و التجربات
التي تشير إليها، بصقة المتكبر سترتد على
وجهه.
لا بصق على الدرب الذي نحن عليه.
المطر نفسه يتحول إلى بصق على من
يضحك على و يقلل من إحترام القديسين."

و مع هذا رحل الشاب من الباب و مشى
في المدينة يسأل عن الشيخ. و بعد فترة قال

له أحدهم، "القطب في الغابة يجمع الحطب."
ركض الدرويش الشاب إلى الغابة و لكن في
قلبه شك:
"كيف يمكن أن يكون لشيخ كهذا إمرأة
مثل هذه الزوجة، يا لها من نقيض،
يا لها من إنسان نياندير ثالي!
اللهم إغفر لي سؤالي المتعدي.
من أنا لأحكم؟" و لكن بقي السؤال.

"كيف يمكن لمعلم أن ينام مع هذه الإمرأة؟!
هل يتفق المرشد مع اللص؟"

فجأةً ظهر الشيخ خرّقاني ممتطياً
أسداً، و الحطب مكدّسٌ و راءه.
سوطه، ثعبان حي. كل شيخ يمتطي
أسداً شديداً، ما كنت تراه أو لا تراه.
إعلم هذا بعيونك الأخرى:
هناك آلاف الأسود تحت فخذي
معلمك و كلهم يحملون الحطب المكدّس!

خرّقاني علم بالمشكلة و باشر يجاوب،
"أتعلم، إني لا أتحمل زوجتي لأنني أرغب
في ذلك! لا تظن ذلك و لا للحظة!
ليس عطرها، أو ثيابها الملونة.
تحمُّل إزدرائها العلني لي جعلني قوياً
و صبوراً. هي تمريني. لا شيء يمكن أن
يكون واضحاً، صافياً بدون وجود قطب
معاكس له. عَلَمَيْن، واحدٌ أبيض،
و واحدٌ أسود، بينهما شيء
يتضح و يتسوى.
بين فرعون و موسى، البحر الأحمر.

أنت تتطرق لبعض المسائل، و لكن ليس
بعمق كافٍ. نبعُك تجلّد. أما الإيمان فيتدفق.
لا تحاول أن تطرق الحديد و هو بارد.
أدرس داوود، الحداد، الراقص، الموسيقار.
تحرك إلى داخل الشمس. أنت ملفوف بالتخيلات
و الكلام الغير مفهوم. عندما تدخل الروح،
يبدأ الإنسان بالتحرك بحرية،
هارباً، متدفقاً خلال نباتات الحديقة

بعفوية و إمتصاص."

و الآن قصة أعجوبة...

جلال الدين رومي
Translated from *The Essential Rumi*
by Rami E. Cremesti
with permission from Coleman Barks
rami@kremesti.com
© 2005 kremesti.com

ملاحظة: يوجد في هذه القصيدة مبدأين جميلين: الأول هو البيت الذي يقول فيه رومي أنه في حالة الفناء في الله "لا يوجد عجبٌ متسائل". و هو بيت يقضي على الحكمة الفلسفية العميقة التي توصل إليها نيكوس كازانتزاكيس في كتابه "زوربا اليوناني"*، ألا و هي أن أسمى نقطة يستطيع أن يصل إليها الإنسان هي "العجب المقدس"**. وقد غير هذا الشعر فلسفتي الجمالية في التصوير، إذ إكتشفت أن أسمى و أنبل السعي، هو السعي للفناء في الله، و هناك يقول لنا الرومي في قصيدة "المزمّل"، لا يوجد عجب، بل دفء القرابة التي يشعرها الأصدقاء...

*

"I felt deep within me that the highest point a man can attain is not Knowledge, or Virtue, Goodness or Victory, but something even greater, more heroic, and more despairing: Sacred Awe!"

Sacred Awe**